الفريضة المُنتَهَبَة

الجهادُ والقتالُ والقرآن

وليد عماد الدين

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا ، أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا .

لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ **(الأنفال: 74)**

إهداء

إلى شقيقي الحبيب الشهيد عماد...إلى صفاء روحه وطيبة قلبه ونقاء سريرته

إلى والدتي التي ذرفت دمعا يسقي سهول الأرض وهضابها حزنا على عماد

إلى والدي الذي (هد) جسده وأمعن في روحه استشهاد ابنه عماد

إلى أولئك الشباب الأطهار الذين قضوا في سبيل الله في تدمر وصيدنايا وغيرهما في الثمانينيات ، والذين أمضيت معهم قبلها أحلى سنوات عمري

إليهم كلهم الذين (اتخذهم الله شهداء)

أهدي هذا الكتاب

تقديم

ليس أمرا هينا أن تتصدى لفهم نصوص محكمة من القرآن الكريم ، ولشروح وتأويلات مستقرة جدا لهذه النصوص في العقول والنفوس والأفهام ، ثم تجد نفسك أمام أفكار جديدة وتأويلات جديدة، مختلفة عما آمنت به أنت سابقا . وقد تصادم في تأملاتك لهذه النصوص ما هو مستقر جدا من تأويلات لها في نفسك قبل الآخرين . ويزداد الأمر صعوبة حين تكون أنت نفسك من تبناها بطريقة ما، فآمن بها ودفع في اتجاهها عبر سنوات.

ولقد كان مفهوم الجهاد أحد الموضوعات التي كانت تشغلني منذ زمن بعيد. كنت دائما أتساءل عن كيفية تنزيل هذه القضية الخطيرة على واقعنا المعاصر، وكيف نتعامل مع هذا المصطلح الكبير على ضوء المتغيرات التي تحيط بدولنا ومجتمعاتنا. والحقيقة أن الجهاد في سبيل الله ، أحد المصطلحات المهابة جدا في الإسلام وبين المسلمين. ولقد أثنى الله سبحانه على الجهاد ، وأعلى من قيمة المجاهدين ولا سيما إذا انتهى جهادهم بالاستشهاد في ساحات القتال. ولذا فالاقتراب منه ومحاولة تفهمه وتمثله، ، أمرجلل حقا. إن الجهاد في سبيل الله واحد من المصطلحات التي راوح فهمها بين المؤمنين عبر التاريخ الإسلامي من جهاد للنفس ونصح للآخرين بالكلام اللين والجدال بالحسنى، إلى إنشاء كتائب مسلحة ومجموعات تؤمن بمفهومات خاصة للجهاد والقتال في سبيل الله .وأغرب ما في الأمر أن هذه المجموعات والفرق والكتائب ما استهدفت إلا جموع المؤمنين في معظم الأحيان فقتلوا منها واقتتلوا معها، وكانت النتائج في معظم الأحيان بيدهم وبيد(عمرو) كثيرين، دمارا وهلاكا . أليس مثيرا ومرعبا أن أول ضحايا هذا (الجهاد) هو الخليفة الثالث زوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ابن عم رسول الله علم الإسلام وشيخه وفقيهه علي بن أبي طالب! أوليس مؤلما ومفجعا أن قتل هذين الإمامين تم على أيدي رجال حفظة للقرآن الكريم ، ومناضلين من أجله، بطريقة دموية مرعبة! الحقيقة أنه بمقتل هذين باسم (الجهاد في سبيل الله) حدث شرخ هائل في

المسلمين وفتن هائلة، بعض من خطورتها نابع من فهم الجهاد بالطريقة التي رأيناها عبر سلاسل طويلة من أعمال القتل التي ما انفكت تقتل في المسلمين وتفتك بهم حتى اللحظة.

وفي حياتنا المعاصرة، وفي سورية كمثال قريب جدا إلى كاتب هذه السطور، كانت أحداث سورية في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي ولادة بالقتل والاقتتال، ومزدحمة بالتأويلات والتحليلات لمفهومات الجهاد والقتال ، ولاسيما في مجال (الحكم بما أنزل الله) وطريقة مجابهة هذا (الحاكم) بغير ما أنزل الله.. وفي ظروف الاقتتال وما بعدها، كان ثمة من يدعو بصوت خافت إلى إعادة النظر في عمل التنظيمات الإسلامية المسلحة، سواء من حيث تأويل آيات الجهاد في سبيل الله على الصعيد النظري، أو من حيث تطبيق هذه الآيات على واقع المواجهة المسلحة يومذاك. هذان الحراكان الفكري منهما والعملي سواء ، والنتائج الكارثية التي نتجت عنهما ، دفعاني أكثر من مرة إلى أن أقلب الأمر في نفسي على فترات متفاوتة، وأن أعمل النظر في الموضوع ثانية وثالثة، لعلي أهتدي إلى فهم نظري للجهاد مستنبط من القرآن الكريم أولا وأخيرا، فكان هذا الكتيب الصغير.

أرجو أن أكون قد وفقت في هذه المراجعة لمفهومي الجهاد والقتال في القرآن الكريم ، إلى فهم أفضل لهما، وأن أكون قد قدمت لشباب هذه الأمة شيئا مختلفا، يدفع بمن يقرأ منهم أو يهتم بالشأن العام على أوجهه المختلفة ، إلى تأمل مستمر لكل المفهومات (المستقرة) فيمعن النظر فيها على بصيرة من الأمر، وإلى تأمل فيما قد ينشأ من أفكار جديدة عن الجهاد وتأويلات له، فما يتهيب أن يتأملها ثم ما يؤمن إلا بما هو أكثر قربا من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

الجهاد: الفريضة المُنتَهَبَة!

الجهاد والقتال والقرآن

والجهاد فرض بما هو معنى من معاني الإسلام العظيمة في الارتقاء بالنفس ومجاهدة الهوى، ومناهضة الظلم، وبذل النفس والمال والوقت في سبيل الله على كل الصور، وفي كل الدروب والمسالك. هو معنى كبير يرتقي بالمؤمن في مدارج السمو، ويرتفع بروحه إلى علياء عالية، ويضبط تصرفاته فردا وجماعة على النحو الذي أراده الله تعالى وحض عليه. ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ **(الأنفال: 74)**

أولا: آيات الجهاد وآيات القتال.

ولقد كتب في الجهاد قديما وحديثا ، في مجال التفسير وأحكام القرآن والسنة والتاريخ والحديث النبوي ، كتب كثيرة ورسائل . لكنها كانت بنت وقتها في المجمل، وفيها من التفصيلات الكثير مما لا يمكن أن يصلح لواقع الأمة الإسلامية اليوم . وأما في حاضرنا القريب فقد كان لبحثين قصب السبق في الانتشار وفي التأثير المباشر في أجيال كثيرة من الشباب الملتزم دينيا خاصة هما *الجهاد في سبيل الله* المطبوع ضمن كتاب *معالم في الطريق* لسيد قطب، والذي يعتبر من أبرز أدبيات الحركة الإسلامية المعاصرة ثم كتاب *الفريضة الغائبة* لصاحبه عبد السلام فرج ، على التفاوت الهائل فيما بينهما من حيث قوة الأفكار وعمقها وحسن البيان والبلاغة، إذ لا يرقى بحث عبد السلام فرج إلى مكان سيد قطب العالي جدا بحال. إن خطورة هذين البحثين هو أنهما انعكسا بطريقة ما عملا عنفيا عسكريا، قام به أفراد ومجموعات ، على الساحات

العربية والإسلامية والعالمية ، وترتب على هذا الانعكاس العنفي مآلات خطيرة جدا على العالم الإسلامي كله تقريبا. ونحن هنا لا يعنينا من هذين البحثين إلا الإشارة إلى خطورة موضوع الجهاد ، وخطورة التأويلات التي نتجت عن هذين البحثين.

إن أخطر ما في مفهوم الجهاد أو القتال تحديدا اليوم هو ربط هذا الجهاد بل حصره أحيانا بالعلاقة بين الشعوب الإسلامية والسلطات السياسية فيها ، بدءا بالصدام الفكري والسياسي إلى مسألة حمل السلاح في وجه السلطات ، وهي المرحلة الخطيرة في الفعل ورد الفعل اللتين أدمتا (الحركيين المؤمنين).بمختلف اتجاهاتهم وآرائهم، وأدمتا السلطات السياسية أيضا بمختلف اتجاهاتها أومواقفها من الإسلام وممارسات المسلمين، وخلفتا مقاتل كبيرة ومصائب لا تنتهي في المجتمعات العربية والإسلامية.

وأسارع إلى القول هنا، أن هذا الكلام لا يعني إدانة مطلقة لذاك الفهم للجهاد، وليس تقليلا من شان هؤلاء الشباب (المجاهين) بحال، إنما هو إعادة تقديم لهذه النصوص عن الجهاد وأهميتها وأخطارها، ومحاولة متجددة في فهم هذه الآيات والنصوص.

ولذا فإن المسألة التي ينبغي العمل عليها اليوم هي التأكد من فهمنا الصحيح للجهاد على ضوء القرآن الكريم ، بالتناغم مع تحولات العالم الإسلامي والتغيرات العميقة فيه. بحيث يكون الجهاد رافعة لنمو العالم الإسلامي وتحرره، على صعيد الفكر والسياسة والعلاقات مع العالم الخارجي، وليس مذابح وانقسامات واقتتالات عنيفة لا تبقي ولا تذر. وهذا البحث يحاول أن يسهم في هذا الاتجاه، فيبني ولا يخرب، ويصل ولا يقطع، على ضوء من هدي القرآن الكريم وتجلياته.

ولعل أكثر ما يفترق به هذا البحث عن معظم الأدبيات الإسلامية ، هو فكرة تتبع آيات القتال في القرآن الكريم وفق نزولها الزمني وليس حسب مكانها في المصحف. والافتراق الثاني هو الاكتفاء بنصوص آيات الجهاد والقتال في القرآن الكريم ، دون أي تأثر بالنصوص الأخرى من تفسير وسيرة وتراث قدر المستطاع . وهذا ليس زهدا بالمصادر الأخرى من تفاسير وسير، أو تقليلا من شأنها، إنما لمزيد من

التركيز على آيات القرآن الكريم . بحيث تكون الرؤية أكثر التصاقا بالقرآن الكريم وأقل تأثرا بالتأويلات التي يحملها التراث بكل تجلياته.

الجهاد والقتال:

وكما نعرف جميعا، فلقد تحدث القرآن الكريم عن الجهاد كما تحدث (أكثر)عن القتال. وحفز على بذل الجهد كما حرض على القتال. وكما هو جلي في تتبع آيات القرآن الكريم فإن آيات الجهاد لا تعني القتال دائما. بل تعني بذل الجهد والعطاء بكل أنواعه، بما في ذلك القتال. لكن الأمر اللافت أن آيات الجهاد كما آيات القتال نزلت بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، فهي بذلك مدنية. عدا آيات ثلاث تحدثت عن الجهاد بمعان خاصة في سورتين مكيتين، إلى حد أنه نستطيع أن نتحدث عن آيات وسور مدنية فقط ، كان موضوعها الجهاد والقتال.

1- ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ سورة الفرقان: 52

2– ﴿**وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ سورة العنكبوت: 6

3- ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ سورة العنكبوت: 69.

وواضح جدا في هذه الآيات الثلاث أنها لا تتحدث عن القتال، بل هي تتحدث عن مجاهدة المشركين بالقرآن الكريم، وعن فضيلة جهاد النفس. وهذا يؤكد ما سنراه لاحقا من أن الجهاد بالمعنى الذي يتضمن القتال، ثم القتال نفسه، على ما هو معروف من أعمال المواجهات المسلحة والقتل المتبادل، أمران حدثا بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة تحديدا، وبعد قيام الدولة وتأسيسها.

وإذ كان البحث هنا ينصب على القرآن الكريم، فلا بد من وضع آيات الجهاد أمامنا جملة واحدة، ليظهر ما فيها من ترابط في المعاني وانسجام في الروح والمقاصد. وقد آثرنا عرضها في نزولها الزمني آية فآية، على الترتيب، مع ما في ذلك من اجتهاد قابل للنظر، وهو ما سيمر معنا التأصيل فيه.

1– ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ سورة الفرقان:52 مكية.

2– ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ سورة العنكبوت:6 مكية.

3– ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة العنكبوت: 69 مكية.

4– ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سورة الأنفال: 72

5– ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ سورة الأنفال: 74

6– ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ سورة الأنفال: 75

7- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة آل عمران: 142

8- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ سورة الممتحنة:1

9– ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء: 95

10- ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ سورة الحج: 78

11– ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة البقرة: 218

12- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ سورة محمد: 31

13– ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ سورة الحجرات: 15

14- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سورة التوبة:73

15– ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة النحل: 110

16- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة المائدة: 35

17- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة التوبة: 16

18- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ سورة التوبة: 20

19- ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ سورة التوبة: 24

20- ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة التوبة: 41

21- ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ سورة التوبة: 44

22- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سورة التوبة: 73

23- ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ سورة التوبة: 81

24- ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ سورة التوبة: 86

25- ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة التوبة:88

وخلاصة ما تشير إليه هذه الآيات هو حث المسلمين على الجهاد بمعناه العام الذي هو بذل الجهد والمال والنفس، والقتال أحيانا إن كان ثمة قتال. كل ذلك لا يتضمن أحكاما فقهية قاطعة أو حدية تتعلق بموقف المجتمع المؤمن ودولة النبي صلى الله عليه وسلم من الآخرين،حربا أو سلما، هدنة أو عهدا، منذ نزول القرآن إلى اختتامه. بل هي حض على الجهاد بمعناه العريض المتسع كما سبق القول.

وعليه فإن آيات الجهاد بجملتها أو تفصيلاتها ،لا تؤشر إلى أمر بقتال أقوام ومهادنة آخرين، أو قتال ناس دون ناس..إن آيات الجهاد إطار عام للمؤمنين يطلب منهم التضحية والبذل في سبيل الله ، دون أي معنى سياسي أو أحكام عملية تترتب على هذه الآيات.

والحقيقة فإن آيات(الجهاد) هذه تجعل من العسير حقا أن نفهم منها دعوة إلى قتال آخرين مهما كان هؤلاء الآخرون أفرادا أو جماعات أو دولا، وهو ما سرى في قطاعات كبيرة من المؤمنين في مراحل شتى بحيث ارتكزوا على آيات الجهاد ليبنوا عليها أحكاما غاية في الحدية والنزق والتهور أحيانا، مما لا نراه أبدا في مضمونات آيات الجهاد هذه.

وهذا يختلف تماما عن موضوعات آيات القتال التي سنرى أنها تتعلق بأحكام عملية تتعلق بحالات القتال الفعلية في ساحات المعارك، كما تتعلق بالموقف من الآخرين.

ثانيا: آيات القرآن الكريم في القتال، مرتبة (زمنيا) حسب تاريخ النزول

مقدمات أساسية من مباحث علوم القرآن

1- الترتيب الزمني لنزول سور القرآن الكريم (مثل أن سورة العنكبوت نزلت زمنيا قبل سورة المطففين) ليس قطعيا بالاتفاق، بل هو موضع اجتهاد من علماء القرآن الكريم، وقد بذلوا في ذلك جهودا. وهذا يعني أشياء كثيرة منها بشكل خاص أننا لا نستطيع الجزم بأن حكما ما في سورة معينة، هو سابق أو تال لحكم آخر في سورة أخرى، لأن السورة التي ورد فيها الحكم الأول سابقة أو تالية للسورة التي تضمنت الحكم الثاني. وهذا أمر مهم جدا في استنباط الأحكام من القرآن الكريم. ثم إن ترتيب نزول الآيات زمنيا في كل سورة (مثل أن آية الدين في سورة البقرة نزلت زمنيا بعد الآية الأولى من السورة نفسها) ليس قطعيا أيضا بالاتفاق، بل هو خاضع للبحث والتأويل وحشد القرائن. وهذا أيضا يدلل على صعوبة أشياء، منها تتالي الأحكام زمنيا تبعا لتاريخ التنزيل، أو نسخ حكم لآخر بالطريقة نفسها. إن كل هذا مبني على غلبة الظن وليس التحديد القطعي. وهذا الأمر مختلف تماما عن ترتيب سور القرآن في المصحف، كما نقرؤه اليوم، وترتيب آيات القرآن في كل سورة كما نقرؤها أيضا، فهو (توقيفي) جاء بأمر النبي صلى الله عليه وسلم. وهو موضع اتفاق بين الصحابة الذين دونوا المصحف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وجمعوه فيما بعد في أيام أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين. وهو ما نراه اليوم في المصاحف المنسوخة عن المصاحف الستة التي هي نسخ من مصحف حفصة بنت عمر بن الخطاب. فقد ثبت من وجوه كثيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يأمر كتبة الوحي بوضع كل آية في مكانها من كل سورة. وكذلك فقد كان يأمرهم بترتيب السور حسب ما نعرفه الآن: سورة البقرة ثم آل عمران ثم النساء ثم المائدة وهكذا

بقية السور. فسورة العلق مثلا هي أول ما نزل من القرآن الكريم، لكنها تحمل الرقم 96 في ترتيب السور في المصحف.

وفي بحثنا هنا في آيات القتال في القرآن الكريم، ينبغي أن نأخذ هذا بعين الاعتبار جيدا. فالآية الكريمة ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تحمل الرقم 39 من سورة الأنفال التي نزلت في السنة الثانية للهجرة، بينما الآية ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ تحمل الرقم 61 من سورة الأنفال نفسها، أي هي تالية للأولى في الترتيب في التلاوة في السورة، بحيث قد نبني عليها أن الآية 61 نسخت الآية 39 لأنها تقع بعدها في الترتيل. وهذا غير صحيح فنحن في الحقيقة لا نستطيع الجزم بأي منهما نزلت قبل الأخرى لنبني على ذلك حكم النسخ السابق. وهذا يرتب صعوبة الجزم القطعي بالترتيب الزمني لآيات القتال وتأويلاتها من ثم، لتحديد مدلول كل آية والنتائج العملية المترتبة عليها. إن الترتيب المعتمد هنا يعتمد على المصادر التي اهتمت بهذا الأمر، وعلى دلائل واضحة مما هو معروف في القرآن والسيرة، مثل أن سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر نزلت في المجمل قبل سورة آل عمران التي تحدثت عن غزوة أحد.

2- القرآن المكي في الاصطلاح المستخدم في هذا البحث، هو الذي نزل زمنيا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، بغض النظر عن مكان النزول، وهذا أرجح الأقوال وأشهرها. فما دام أنه نزل قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في أي مكان كان، فهو قرآن مكي بالاصطلاح. وما دام نزل بعد الهجرة في أي مكان ولو كان مكة المكرمة نفسها، فهو مدني بالاصطلاح. وأول ما نزل من القرآن الكريم هو سورة اقرأ. وآخر ما نزل في مكة المكرمة قبيل الهجرة سورة المطففين. ومجموع هذه السور ست وثمانون سورة، تضم عددا كبيرا من قصار السور، وهذا على الراجح طبعا.

3- يبلغ عدد السور المكية (86 سورة)، بينما مجموع سور القرآن الكريم كله (114سورة). إن نسبة عدد السور المكية إلى عدد السور في المصحف كله، يقترب من خمسة وسبعين بالمائة. ومن اللافت هنا أن حجم القرآن المكي من حيث عدد الآيات إلى حجم القرآن كله قريب جدا من هذه النسبة. فعدد آيات السور المكية 4711 آية من 6236 آية، وهو ما يعادل خمسة وسبعين بالمائة تقريبا أيضا، مثل نسبة عدد السور. وهذا يدل على أن حجم التنزيل المتعلق بموضوعات الإيمان والعقيدة والأخلاق وقصص الأنبياء، الذي هو موضوع الآيات المكية بشكل عام، يشكل ثلاثة أرباع القرآن الكريم. ويتوزع الربع الباقي (28 سورة) على موضوعات متعددة مثل المغازي والتشريع والأمور الاجتماعية وغيرها مما يتعلق بتنظيم الحياة داخل المجتمع الإسلامي وجواره وعلاقاته مع الآخرين.

4- من السور الثماني والعشرين المدنية، التي هي ربع القرآن الكريم، هناك تسع سور فقط هي الأنفال وآل عمران والأحزاب والممتحنة والفتح والنساء ومحمد (أو القتال) والصف والتوبة، تخصص جزءا كبيرا منها أو صغيرا لموضوع القتال بين أمة المؤمنين ودولتهم في المدينة المنورة وأعدائهم. ويبلغ عدد آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن القتال وشؤونه وأحواله حوالي 440 آية من مجموع 6236 آية هو عدد آيات القرآن الكريم أي (سبعة بالمائة)! لكننا بمزيد من التمعن والتتبع سنكتشف أن آيات القتال هذه تتناول في معظمها، مشكلات وقضايا تتعلق بالصف المسلم ومجتمع المؤمنين في المدينة المنورة، مع تحليلات نفسية وروحية واجتماعية عميقة، لا يبقى منها سوى عدد محدود جدا من الآيات تتعلق بالعلاقة بين دولة المدينة المنورة من جهة ، وبين الآخرين في الجزيرة العربية وما حولها، ولن يزيد هذا العدد المحدود عن اثنين بالمائة مهما توسعنا في دلالة الآيات. إن العناية بالجهاد، والقتال الذي هو أحد تجلياته، يشكل جزءا ليس كبيرا من القرآن الكريم، مما يعطينا الفرصة للتفكير في حقيقة مقاصد الإسلام ومراميه، وأساليب الوصول إلى هذه المقاصد والمرامي من ثم. وهذا الجزء من القرآن كما سنرى لاحقا، يتعلق بتربية المؤمنين

والارتقاء بقيمهم وأخلاقهم وسلوكهم، أكثر بكثير من غرض تحديد طبيعة العلاقة بين أمة المؤمنين وغيرهم سلما أم حربا، عهودا أو مواثيق، أو غير ذلك من الحالات.

5- إذا كان هناك أمر بكف الأيدي عن القتال في مكة المكرمة، وهو أمر استمر ثلاثة عشر عاما، فإن من المفيد الإشارة إلى أنه حتى في سير الأنبياء في السور المكية، فإننا نادرا جدا ما نرى قتالا بين الأنبياء وأقوامهم! فقد أخبرنا القرآن الكريم أن هلاك الأمم وانتصار الأنبياء عليهم، كان بالطوفان أو القحط أو الريح...ولم يكن بسبب قتال بين الأنبياء والمؤمنين بهم من جهة، وبين الكفار والمكذبين من جهة أخرى. وهذا أمر لافت جدا لأنه ربما كان نوعا من التربية على النزوع السلمي والكف عن القتال.

ومن الجلي أنه لو كان القرآن المكي يزكي قتال الأنبياء ومؤمنيهم لأقوامهم والانتصار عليهم، لكان ذلك مدعاة لانتشار هذه الفكرة بين المؤمنين في مكة المكرمة، وبالتالي فإنه سوف يشيع جوا من الصدام والقتال، وهو مما لم يكن من مقاصد القرآن الكريم في تلك الفترة كما هو معروف.

6- كانت مقاومة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لقريش ومشركي مكة، هي الصبر على الأذى في مكة، وفي الهجرتين الأولى والثانية إلى الحبشة ثم في الهجرة إلى المدينة المنورة في نهاية المطاف. وقد استغرقت هذه المرحلة المكية ثلاثة عشر عاما كما هو معروف. إن معظم القرآن المكي، كما هي الفترة المكية، دعوة للتوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر، وتعزيز السلوك الحميد والأخلاق العامة. لا يشكل القتال موضوعا أبدا في (الموقف) بين المؤمنين وأعدائهم.

7- بدأ القتال بين المؤمنين وبين بقية الأقوام على اختلافهم، بعد إنشاء دولة المؤمنين في المدينة المنورة تحديدا. (وهذه الدولة لم تكن للمسلمين فقط، بل كان اليهود القاطنون في المدينة المنورة جزءا منها) وهذا أمر خطير للغاية، إذ يصلح بقوة استنباطا سياسيا شرعيا عاما بأنه لا يمكن لأي مجموعة إسلامية التصدي لقتال أقوام آخرين في مجتمعها أو مجتمعات أخرى، بدعوى الجهاد أو غيرها، ما دامت هذه المجموعة ليست (دولة) مكتملة الأركان. إن الأعمال القتالية بدأت فقط مع قيام دولة المدينة، وبناء على أمر من قائد

هذه الدولة الذي هو النبي صلى الله عليه وسلم. وبقي المؤمنون ثلاثة عشر عاما ممنوعين من أي قتال، وممنوعين من استعمال السلاح، حتى دفاعا عن النفس!

ويعزز هذا الرأي ما لاحظناه من أن التجمعات الإسلامية التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية خلال قيام دولة المدينة، لم تكن مخولة بقتال أقوامها على امتداد الجزيرة العربية وحتى وفاته عليه الصلاة والسم.! بل كان المطلوب منها أن تهاجر إلى المدينة المنورة وإلا فهي خارج دائرة (الموالاة) التي تعني الانتماء لدولة المدينة في تلك الفترة. وهذا واضح جدا في الآية 72 من سورة الأنفال التي نزلت في شهر رمضان المبارك من العام الثاني للهجرة: ﴿...**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ فحتى طلب النصرة من أجل الدين مشروط بأن لا يكون بين دولة المدينة وبين غيرها، مواثيق تمنع من الانتصار لهذه الفئة من المؤمنين. إنه نوع راق جدا من الالتزام (بالقانون الدولي) والعرف السائد في تلك المرحلة من التاريخ.

ثالثا: الدخول إلى عالم آيات القتال وتفصيلاتها

1- أول ما نزل من القرآن الكريم في القتال خاصة، هو سورة الأنفال التي تتحدث عن غزوة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة. وهذه السورة مخصصة كلها لهذه الموقعة بين المؤمنين وقبيلة قريش.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (1) ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (2) ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (3) ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (4) ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ (5) ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (6)
﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ
بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (7) ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (8) ﴿ إِذْ
تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (9) ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (10) ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ
وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ
الْأَقْدَامَ﴾ (11) ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (12) ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ
يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (13) ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ (14)
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ (15) ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ
إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (16) ﴿ فَلَمْ
تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴾ (17) ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ (18) ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ
تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
(19) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (20) ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (21) ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (22) ﴿
وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (23) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا
لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (24) ﴿
وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (25) ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ
قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴾ (26) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (27) ﴿
وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (28) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ

يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (29) ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (30) ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (31) ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ
إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (32) ﴿ وَمَا كَانَ
اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (33) ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ
يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (34) ﴿
وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (35) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ﴾ (36) ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي
جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (37) ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ
مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (38) ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (39) ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (40)
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ
كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (41) ﴿
إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ
لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
(42) ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (43)﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا
كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (44) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (45)﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴾ (46) ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ
بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (47) ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ
لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ
شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (48) ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (49) ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ
وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (50) ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (51) ﴿كَدَأْبِ

آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (52) ﴿
ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (53) ﴿
كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا
ظَالِمِينَ﴾ (54) ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (55) ﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ
يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ (56) ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ
لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (57)﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (58)
﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ (59) ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ
الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (60) ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ﴾ (61) ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (62) ﴿
وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
(63) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (64) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (65) ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا
مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (66)﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ
أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (67) ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ
مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (68) ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (69) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ
خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (70) ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ
فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (71) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴾ (72) ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (73)
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (74) ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ
أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (75)

ولافت جدا في هذه السورة أن نرى أن موضوعات الآيات القرآنية المتعلقة بالغزوة، وعددها خمس وسبعون آية، تتعلق بتربية المؤمنين ونقاء صفهم الداخلي، والارتقاء بإيمانهم وأخلاقهم، والبعد عن التنازع والبغضاء واللهاث وراء الغنائم. هي دعوة لإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله، واللجوء إلى الله لطلب النصر، ودعوة إلى الثبات في المعارك، والاستجابة لله ورسوله، وغير ذلك من المعاني التربوية الخالصة التي لا تتعلق بالحرب والقتال مباشرة. إن الآيات التي ذكر فيها القتال المباشر تتحدث عن دعوة المؤمنين إلى شدة قتال الكفار لأنهم شاقوا الله ورسوله، وليس ثأرا أو لأجل الغنائم. وتطلب منهم القتال حتى لا تكون هناك فتنة للمؤمنين عن دينهم، ويكون الدين كله لله، فإن انتهى القتال فإن الله بما يعمل هؤلاء المشركون بصير. ثم هي دعوة إلى قتال الذين ينقضون عهدهم من المشركين في كل مرة ﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ الأنفال 57. فهي في المجمل آيات تتحدث عن المعركة وظروفها وحالة المؤمنين في تلك المرحلة بالذات، مما ينفي عن هذه الآيات صفة الأمر القطعي في كل زمان ومكان وحالة وظرف، دون أن يعني ذلك عدم الاستئناس بمدلولاتها وقيمها وإيحاءاتها بل ربما أحكامها في الإطار العام لحركة المجتمع المؤمن أو الدولة المؤمنة.

وخلاصة ما نرى في قصة غزوة بدر في القرآن الكريم ليس (مواقف سياسية) لدولة المدينة وجماعة المؤمنين تجاه دولة أخرى أو طرف آخر أو أطراف أخرى، من حيث هو حرب أو سلم أو عهود، بل هو تحليل لحالة خاصة هي الغزوة بمقدماتها وأحداثها ونتائجها ودروسها، مما يتعلق بحالة (الصف المؤمن) على وجه التحديد.

2-والسورة الثانية التي تتحدث عن القتال، في الترتيب من حيث النزول هي سورة آل عمران التي نزلت في شهر شوال من العام التالي لغزوة بدر. أي في العام الثالث للهجرة، وهي تتحدث عن غزوة أحد.

وفي هذه السورة الطويلة نسبيا، حيث يبلغ عدد آياتها مئتي آية، نجد أن ستين آية منها تقريبا تتحدث عن غزوة أحد ومقدماتها وأحداثها ونتائجها والعبر منها. إنها بشكل عام مثل معالجات سورة الأنفال وموضوعاتها. هي تربية وتوجيه ومحاورات نفسية واجتماعية للمؤمنين! هي حديث عن القتال (في المعركة) ذاتها. عن القرح الذي مس المؤمنين كما مس أعداءهم في المعركة. عن تمحيص الصفوف واختبار إيمانها بالقتال والتضحية. عن الفشل والتنازع في الأمر وعصيان أوامر النبي. عن التولي ﴿۞ **إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ**... ﴾ آل عمران 153 كل مشاهدها وصورها وتحليلاتها تتناول مجتمع المؤمنين من جانب الإيمان والتضحية والفداء في حالات القتال وقبيله وبعده. هي أيضا لا تحمل (مواقف) سياسية قاطعة تحدد علاقة (الدولة) الناشئة في المدينة المنورة بأعدائها من قريش وغيرهم. إنها سورة (داخلية) بشكل أساسي وليس من أجل تحديد علاقة مع (الآخر) الذي هو ليس (دولة) ولا (سلطة) قريش أو مكة. إن ميدان سورة آل عمران هو ميدان المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة وليس العلاقة بين (دولة) المدينة والآخرين .

﴿ **وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (**121**) ﴿ **إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (**122**) ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (**123**) ﴿ **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ**﴾ (**124**) ﴿ **بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ (**125**) ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ (**126**) ﴿ **لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ**﴾ (**127**) ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ (**128**) ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (**129**) ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (**130**) ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (**131**) ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (**132**) ﴿ ۞ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (**133**) ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (**134**) ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (**135**) ﴿ **أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ (**136**) ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ**

عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (137) ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (138) ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ
الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (139) ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ
النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (140) ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (141) ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ
الصَّابِرِينَ﴾ (142) ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (143) ﴿ وَمَا
مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن
يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (144) ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (145) ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ
مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (146) ﴿
وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
(147) ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (148) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (149) ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ
النَّاصِرِينَ﴾ (150) ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ
وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ (151) ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (152) ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ
يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (153)
﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ
لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (154) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا
مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾
(155) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ

كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
(156) ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (157) ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ
قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ (158) ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (159) ﴿
إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾
(160) ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾ (161) ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (162) ﴿
هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (163) ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ
أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (164) ﴿
أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
(165) ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (166) ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ
لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ
يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (167) ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ
أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (168) ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (169) ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ
يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (170) ﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (171) ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (172) ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (173) ﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (174) ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾
(175) ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (176) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (177)
﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (178) ﴿

مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (179) ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (180) ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (181) ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (182) ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (183) ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (184) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (185) ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (186) ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (187)

3- ونمضي سنتين تقريبا، لنصل إلى تنزيل جديد يواكب حركة المجتمع الإسلامي و(دولة) المؤمنين في المدينة المنورة، وذلك في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، حيث حصلت غزوة الخندق (أو الأحزاب) ففي تلك الفترة اجتمعت قريش وحلفاؤها الكثر وحاصروا المدينة المنورة وأرهقوا أهلها، حتى فكر النبي بصلح مع المحاصرين يتنازل فيه عن قسم من ثمار المدينة المنورة . وتنزل سورة الأحزاب لتقوم بالدور نفسه الذي قامت بها سورتا الأنفال وآل عمران من قبل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (9) ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (10) ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ

الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (11)... هي تسعة عشر آية فقط (من سورة الأحزاب التي عدد آياتها ثلاث وسبعون آية) تتحدث عن حالة حصار المدينة، والوضع الصعب لأهلها، وعن الأوضاع العامة للمؤمنين في هذا الحصار الشديد.

إنه في السنة الخامسة للهجرة يتنزل القرآن الكريم، في هذه السورة سورة الأحزاب، فيعالج الحالات النفسية للمؤمنين تحت الحصار، ويثني على المؤمنين الذين (**صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ**) الأحزاب 23. ويجعل الآيات كلها توجيها وتربية وتعليما للمؤمنين. إنها أبدا ليست تحليلا للعلاقة السياسية بين دولة المدينة التي مضى اليوم خمسة أعوام على تأسيسها، وبين قريش وسلطانها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (9) ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (10) ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (11) ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (12) ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (13) ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ (14) ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (15) ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (16) ﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (17) ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (18) ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (19) ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (20) ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (21) ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (22) ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (23) ﴿ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (24) ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (25) ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (26) ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (27)

4- وبعد غزوة الخندق(الأحزاب) بأكثر من عام، وفي شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة، يحاول النبي أداء مناسك العمرة مع أصحابه، ويقدم مكة لهذا الغرض، فتبدأ على الفور مفاوضات طويلة تنتهي بالصلح الشهير بصلح الحديبية قرب مكة، والذي يقضي بعودة النبي هذا العام عن العمرة، وتأجيل ذلك إلى العام التالي . ومواكبة لهذا الحدث تتنزل آيات جديدة من سورة البقرة، تتحدث عن العلاقة بين مجتمع المدينة وبين مشركي قريش. وفي هذه الآيات الثماني من 286 آية، يتحدث القرآن الكريم وربما للمرة الأولى بشكل مباشر ومحدد عن الموقف العام لأمة المؤمنين ودولتهم، من الأطراف الأخرى، وهو موقف مواجهة العدوان ورده، وعدم الاعتداء مطلقا: " **﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (190) ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (191) ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (192) ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا**

عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (**193**) **﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾** (**194**)"

فهذه الآيات التي نزلت في السنة السادسة للهجرة، تحدد أحد مبادئ الإسلام الأساسية التي يمكن إرجاع العلاقات مع الآخرين لها وهي: " **﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾**" وواضح في هذه الآية الوضوح والصراحة وقوة الألفاظ وكمال المعنى فلا لبس ولا تردد، بحيث يصح اعتبارها واحدة من مبادئ الإسلام الكبرى في العلاقات الدولية. فالقتال يكون فقط لأولئك الذين يقاتلون المؤمنين ، والقتال يكون فقط في في سبيل الله، مع أمر صريح بعدم الاعتداء.

لكن هذا المبدأ القرآني العظيم، قد أتى في سياق محدد، وليس منبتا أو منقطعا عن سياق عام. فالإطار الذي تتحدث فيه الآيات هو علاقات حربية وسياسية في ظرف مستجد من ظروف الصراع بين دولة المدينة وأعدائها، حيث يحاول المؤمنون ترسيخ حقهم في العمرة وإقامة شعائرها بحرية، بينما يحاول أهل مكة منع المسلمين من هذا الحق. وفي إطار هذا الصراع، الذي فيه إخراج المؤمنين من أرضهم، وفتنتهم عن دينهم، يحدد القرآن الكريم مقتضيات المرحلة وآفاقها وتجلياتها، ويرسم الحدود بين دولة المدينة ومجتمع المؤمنين من جهة، ودولة الكفر وأنصارها في مكة من جهة ثانية. إن هذه الحدود هي أن لا يقاتل المؤمنون إلا من يقاتلهم، وأن لا يعتدوا على أحد.

5- ويكتمل التنزيل القرآني في موضوع القتال ، بالآيات التي تتحدث عنه في سورة الممتحنة التي تخصص جزءا منها لعلاقة دولة المدينة (بالآخر) . فهي تتمم ما نزل من سورة البقرة المتعلق بصلح الحديبية بالنهي عن الاعتداء، بتأكيد المعنى ذاته بالنهي عن القتال إلا دفاعا عن الدين. وهذا التنزيل تم بعيد صلح الحديبية (جمادى الأولى من السنة السادسة للهجرة) كما هو واضح من سياق الآيات :

" ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (8) ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (9) "

فهو المعنى نفسه الذي سبق الحديث عنه في سورة البقرة، وهو قتال من قاتل المؤمنين فقط، أو أخرجهم من ديارهم، أو منعهم من أداء مناسك الحج والعمرة .

6- ويمضي التنزيل القرآني في موضوع التربية والتوجيه في مسائل القتال في سورة الفتح التي نزلت في الزمن نفسه من تنزيل آيات سورة البقرة في القتال، وآيات سورة الممتحنة، أي في السنة السادسة من الهجرة في الأشهر الأخيرة منها(ذو القعدة كما في معظم الروايات). فمع اعتبار ما حصل في الحديبية فتحا مبينا، تثني السورة على الذين بايعوا النبي في بيعة الرضوان، وتعتبر البيعة بيعة مع الله. لكن هذه السورة لا تتحدث عن علاقة دولة المدينة بالآخر، بل تخصص تسعا وعشرين آية لتوجيه المؤمنين والارتقاء بقيمهم وأخلاقهم وتحدد علاقاتهم فيما بينهم.

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (1) ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (2) ﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (3) ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (4) ﴿ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (5) ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (6) ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (7) ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (8) ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (9) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ

عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (10) ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (11) ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ
إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (12) ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ (13) ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (14) ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ
اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (15) ﴿ قُلْ
لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا
حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (16) ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا
أَلِيمًا﴾ (17) ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ
عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (18) ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (19) ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ
كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾
(20) ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (21) ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (22) ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا﴾ (23) ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (24) ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا
رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ
يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (25) ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ
الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (26) ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ
مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (27) ﴿ هُوَ الَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (28) ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ

مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (29)

7- وبعد ذلك تتنزل سورة (محمد) صلى الله عليه وسلم (أو سورة القتال كما في روايات أخرى) في السنة السادسة للهجرة أو ما بعدها على خلاف في الرأي. وهي ثمان وثلاثون آية تتحدث عن علاقات المجتمع الإسلامي حينها مع المجتمعات المعادية ولكن ليس في قوانين محددة، بل ضمن سياقات التربية والتوجيه والحض على القتال في الميدان. فهي تقريع للذين (كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) . ولأنه في حالات الحرب المحتدمة ينبغي القتال بشدة فقد جاء التحريض :

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (4) ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ (5) ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (6) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (7)

ويمضي القرآن الكريم في التحذير من النفاق الذي قد يعتري بعض القلوب، فيطالبهم بالتزام الطاعة وصدق العزيمة مع النبي الذي هو خير لهم

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (20) ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (21)

ثم مرة ثانية، يعود القرآن الكريم إلى الموضوع الأصلي الذي هو تربوي وأخلاقي وارتقاء بالأرواح :

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (35) ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (36) ﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (37) ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (38)

8- ويمضي التنزيل الحكيم في التربية والتوجيه ، لكن فيما يتعلق بالمنافقين هذه المرة، وفيما يتعلق (بالرماديين) الذين يتقلبون في الولاء بين المؤمنين وغيرهم. ففي سورة النساء التي نزلت بين عامي 7 أو 8 للهجرة، وفي حوالي ثلاثين آية، حض على التضحية والفداء ﴿ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وحض على نصرة المستضعفين ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ والفرق بين نوايا المؤمنين والكفار ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وفضح للمنافقين ﴿ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ...﴾ وعن الذين بينهم وبين المؤمنين مواثيق ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾

وغير ذلك من الآيات التي تتناول التوجيه والتربية من خلال القتال والحشد والعلاقات مع الآخرين، وكلها في سياقات محددة واضحة مرتبطة بها، ولا تحمل معنى التأبيد من حيث الحكم والقانون، بل هي ضمن حالات المواجهة بين مجتمع المدينة المنورة وخصومه.

9- ثم تتنزل سورة الحج، التي تؤكد في سياق إعلاء قيمة العبادات والحفاظ على أماكن العبادة على حق المؤمنين بالدفاع عن أنفسهم في ثلاث آيات فقط من السورة التي تضم 78 آية ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (39) ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (40)**

10- وفي السنة السادسة نفسها أو السابعة من الهجرة، تتنزل سورة الصف التي تعلي من شأن القتال عامة في سبيل الله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ وتنتهي إلى العناية بقيمة الجهاد وتعظيمها ﴿ **وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ وذلك في ثلاث آيات من أربع عشرة آية.

11- ومع السنة التاسعة للهجرة في شهر رجب منها، تتنزل سورة التوبة(أو براءة) ، التي هي أكثر سور القرآن الكريم وضوحا وتطورا وتحديدا في علاقة دولة المدينة ومجتمع المؤمنين بأعدائهم، مما جعلها موضع عناية خاصة من معظم مفسري القرآن الكريم وباحثي العلاقات الدولية في الإسلام.

وسورة التوبة التي هي مائة وتسع وعشرون آية، مخصصة كلها وبتمامها، في إطارها العام، وفي تفصيلاتها، وفي روحها وأساليب بيانها، وفي كل دقيقة منها...إلى العلاقات الداخلية في المجتمع المدني فيما

يخص الجهاد والقتال والحياة (النفسية) في مجتمع الجهاد والقتال وفي مجتمع النفاق والمتخاذلين. ثم علاقة مجتمع المدينة المنورة مع المجتمعات القريبة والمجاورة، وعلاقة دولة الإسلام المنفردة بالقوة والسيطرة في الجزيرة العربية حينها مع الآخرين. وهي هنا علاقة في غاية الجدية والصرامة والوضوح...إنها تعكس التطور الكبير في بناء المجتمع الإسلامي، وفي قوة دولة المدينة المنورة، وفي التطور السياسي الذي وصلت إليه الجزيرة العربية بكل مكوناتها. إن سورة التوبة ميدان فسيح جدا للبحث في الإسلام بعد اكتمال دولته، وفي المجتمع الإسلامي بعد نضوجه واتساعه وتمدده، وفي علاقة الدولة الراسخة عندئذ مع (الآخر) الذي هو حينها ليس أبدا دولة واحدة متماسكة ناضجة محددة، بل هو أقوام وفئات شتى تتوزع على امتداد الجزيرة العربية وما خلفها. إن سورة التوبة سفر ضخم من التنزيل الحكيم، يأخذ بمجامع القلب والفكر والعقل، ويعطي لهذا كله فسحة كبيرة جدا للتأمل والتفكير والاستنباط.

لكن ما ينبغي الالتفات إليه مرة ثانية وثالثة ورابعة، أن الآيات التي تتعلق بالقتال الذي يحدد علاقة دولة المدينة بالقوى الموجودة في الجزيرة العربية، تبقى محدودة العدد فيما إذا قرنت بأي السورة كلها، ولا تكاد آيات القتال تزيد عن ثلاثين آية مهما توسعنا في اعتبار بعض الآيات ضمن إطار البحث. بينما تزخر باقي آيات السورة بمعاني الجهاد والتربية والعلائق بين المؤمنين وحالات الشقاق والنفاق والضرار، وكلها معاني تتعلق بالصف الداخلي أكثر من تعلقها بالعلاقات بالخارج والآخرين.

﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (1) ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ (2) ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ
اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (3) ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا
إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (4) ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ

اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (5) ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (6) ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (7) ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ
إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (8) ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (9) ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ (10) ﴿
فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (11) ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا
أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (12) ﴿ أَلَا
تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ (13) ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (14) ﴿
وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (15) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ
الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (16)

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (29)

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ
الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾
(36)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ
الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (38) ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (39)

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا
فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (81) ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴾ (82) ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا

مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ (83) ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (84) ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (85) ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (86) ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (87) ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (88) ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (89)

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة–(111)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة– (123) .

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (1) ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ (2) آيات مجلجلة محكمة، شديدة الوطأة على المشركين، مستنفرة المؤمنين إلى القوة والبأس والشدة، تجاه الذين يفتنون الناس عن دينهم، ويؤذون دولة المؤمنين ومجتمعهم، ولا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة ولا يحفظون عهدا. إنها تدعو المؤمنين بكل قوة وصرامة أن **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**

ولكن هذه الآيات، في سياقها الكبير العريض، ليست منبتة منقطعة منفصلة منعزلة، نأخذ منها آية دون آية، أو حكما دون حكم، أو قرارا دون قرار... إنها جزء من إطار فكري نفسي اجتماعي روحي قانوني داخلي وخارجي تتدرج فيه آيات بينات محكمات. إن هذه السورة كما سورة الأنفال التي سبقتها بسبع سنوات في النزول، والتي هي سبقتها مباشرة في ترتيب المصحف حتى أنه لا يفصل *بسم الله الرحمن الرحيم* بينهما، وكما سورة آل عمران التي تناولت غزوة أحد قبل ست سنوات، وكما سورة الأحزاب والقتال وغيرها من سور القرآن التي تتناول مسائل القتال والصراعات، تعرض رواية كبيرة ورؤية كبيرة لأحداث وتطورات خطيرة وحاسمة تمت في السنوات الأخيرة من امتداد دولة المدينة ورسوخها، مما اقتضى بنية تشريعية وإطارا قانونيا، وتحديدا أكثر لفحوى العلاقة بين أطراف الصراع. إن هذه السورة ميدان كبير لفهم مقاصد الإسلام وتطور سياساته وأساليب عمله في المجتمع المسلم ومجتمع المؤمنين والمجتمع الإنساني الكبير. إنها وثيقة هائلة من وثائق القرآن الكريم العظيمة التي لا تكاد تنتهي تأويلاتها واستنباطاتها ودروسها.

وليست سورة التوبة إلا حلقة مهمة جدا من حلقات تطور مجتمع المدينة المنورة، ودولة الإسلام في المدينة المنورة، سبقتها حلقات لا تقل أهمية ولا دلالات ولا مرامي وأهدافا. إنها كلها قرآن كريم، يؤازر بعضه بعضا، ويجاور بعضه بعضا، ويؤول بعضه بعضا، ويفسر بعضه بعضا. إنها جزء من كل، كان لاحقا في التنزيل زمانا، ولكنه ليس أخيرا في الحكم والتأويل. إن سورة التوبة دليل عمل في وقتها، كما كانت سورة الأنفال دليل عمل في وقتها، وكما كانت سورة آل عمران دليل عمل في وقتها. كل آية من القرآن الكريم، وكل سورة من القرآن الكريم، رعاية للمؤمنين وهداية لهم في دروب الحياة وتلوينات التدافعات والصراعات. لا سابق ولا لاحق، ولا ناسخا ولا منسوخا، بل كلها آيات محكمات تأخذ بألباب المؤمنين فتضيء لهم الطريق، في حالات السلم والحرب، وحالات الضعف والقوة، وحالات الحصار أو الانسياح في الأرض.

آيات القتال في القرآن الكريم، هي جزء من آيات الكتاب الحكيم، فيها الهداية والنور والإيمان والأنوار المتلألئة، من أول ما نزل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

وزيادة في التأمل، نرى أن (الآخر) في الخطاب القرآني الذي أمامنا ونتلوه، ليس دولة (سياسية) كما هي حال الدولة الإسلامية في المدينة المنورة. إنها لا تتحدث عن دولة في الحجاز، أو دولة في فارس أو الروم...إنها تتحدث عن (آخر) مطلقا ليس له كيان قانوني محدد، كما دولة المدينة، وليس له زعامة واضحة كما قيادة النبي عليه السلام في المدينة. إن هذا الآخر، جماعات وقبائل وكيانات متنوعة غير محددة .

وبالتالي فهو خطاب يتعلق بالآخر حسب ظروفه وإمكانياته وعلاقاته.

صحيح أنه كان هناك أهل كتاب، ومشركون في مناطق شتى، وقبائل متحالفة هنا وهناك، وعهود سابقة مع جماعات، لكنها كلها تتباين النظرة إليها حسب المتغيرات والوقائع والحالات.

ليست المسالة في آيات القرآن الكريم إذا دولة حرب أم سلم، ولا دار إسلام أو دار حرب، ولا مسألة سلطان سياسي ينبغي بسطه أو عدم بسطه (سيد قطب) . إنما هي سياسات واقعية تتناول موقف الدولة العام من جوارها، في جميع المجالات، وضمن أهداف الإسلام العليا في هداية الناس وإقامة التوحيد والعدل والحق.

إن سور القرآن الكريم كلها وآيات الكتاب الكريم كلها وآيات القتال والجهاد كلها، آيات هداية ودعوة إلى التوحيد والخير، يقوم المؤمنون منها بالقسط الذي يستطيعون، وضمن الظروف والمعطيات التي تحيط بهم فتأخذ بهم إلى حالات حرب أحيانا وحالات سلم أحيانا، وحالات عهود ومواثيق أحيانا أخرى. إنها سياسات واقعية عملية، ولكن أهم ما فيها أن المؤمنين أنفسهم مدعوون إلى سلوك طرق الإيمان والالتزام والصدق والأمانة والإيثار وإعلاء كلمة الله في أنفسهم أولا.

إن آيات القتال التي تزيد عن أربعمائة، مخصصة في معظمها الكبير لصف المؤمنين، تربيه وترتقي بإيمانه وأخلاقه ومثله العليا، وعندئذ تصبح العلاقة مع الآخر أكثر سهولة وتحديدا. ولن تكون المشكلة عندئذ كيف تكون العلاقة مع الآخر، إنما ستكون المشكلة دائما هي مستوى الصف الداخلي للمؤنين ومدى قربه من متطلبات القتال وضروراته وآفاق الجهاد وسمو معانيه.

والخلاصة التي ننتهي إليها بعد هذا التطواف في كتاب الله تعالى، أن تتبع آيات القتال في القرآن الكريم حسب تواريخ نزولها منذ بداية دولة المدينة المنورة إلى اكتمال تنزيل سورة براءة، يترك المجال واسعا لاجتهادات القيادات السياسية والعسكرية والأمنية وشبيهاتها ، في طريقة التعامل مع الآخر بكل تلويناته التي منها حالة العدو سياسيا وعسكريا. لكنها تشكل في مجموع هذه الآيات ملاحم كبرى للإيمان والبذل والعطاء ومتانة الصف والتحامه ودروسا وعبرا لا تنتهي، تبين لهذا الصف مواطن القوة الحقيقية وأساليب الظفر والانتصار.

ليس جهادا: الاقتتال فيما بين المؤمنين!

كل آيات القتال في القرآن الكريم تتحدث عن الجهاد أو القتال بين المؤمنين من جهة ، وبين غير المؤمنين من جهة أخرى، إلا آيات قلائل تتحدث عن الاقتتال فيما بين المؤمنين! ولعله من حكمة الله البالغة وواقعية هذا الدين ، أنه لم يغفل المؤمنين في تحدثه عن احتمال حدوث قتال فيما بين المؤمنين، وما ترك هذه الحالة المتوقعة غامضة غير مبينة. بل أبان عنها وأفصح في آية قرآنية واضحة، تعالج المسألة على الطريقة القرآنية في الإيجاز والبلاغة مع صراحة ومكاشفة في مواجهة الحالة ، وإضافة فرصة لتطورات قد لا نستطيع التنبؤ بها أو تخيلها.

"وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا . فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ . فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" الحجرات الآية (9)

ولقد تقاتل المسلمون فيما بينهم فعلا على مدار التاريخ، منذ واقعة الجمل المشهورة عام 36 للهجرة وهو تاريخ مبكر جدا، وصولا إلى تاريخهم المعاصر. وهم ما يزالون يتقاتلون بصور مختلفة ومتفاوتة الأشكال والصور حتى اللحظة. هم تقاتلوا في الجمل وصفين وعبد الله بن الزبير ضد الأمويين إلى قيام الدولة الأموية. ولقد تقاتلوا أيضا فيما بين الدولة الأموية والعباسيين ثم بين الأمويين وبين الدولة العباسية الناشئة، وهكذا إلى الحروب المتتالية بين الأيوبيين ، أوالبويهيين ، أو الفاطميين... وبين الدولة العثمانية والأقطار الإسلامية المجاورة، إلى اقتتال المؤمنين المعاصرين . مع تذكر اقتتال المسلمين فيما بينهم في الأندلس التي صدق تسمية أمرائها بأمراء الطوائف.

فالاقتتال بين طوائف المؤمنين حاصل بنص القرآن الكريم وبالواقع التاريخي مما انقضى، أو هو معاش. ولكن ما ينبغي التصريح به في كل بحث من هذا النوع ، هو أن هذه الحروب كلها لا علاقة لها بالجهاد إلا قليلا! وأن كل المعارك فيما بين المؤمنين تنصب في خانة الاقتتال الذي تحدث عنه القرآن الكريم في الآية العظيمة " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، فأصلحوا بينهما . فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله.فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين". إنه لا حديث هنا البتة عن جهاد في سبيل الله، ولا قتال في سبيل الله، بل حديث (واقعي) عملي عن حالات

الاقتتال فيما بين المؤمنين ، وكيفية معالجة هذا الاقتتال، ضمن أطر الحق ورد البغي، والتأكيد على الصلح بالعدل والقسط.

ولا بأس هنا من تقرير أن فقهاء المسلمين وأصحاب السير والتاريخ، ما سمو اقتتال المسلمين فيما بينهم جهادا بأي حال من الأحوال، بغض النظر عن تقديرهم لحجية هذا الطرف أو ذاك. ولقد كان مصطلح الخروج هو الغالب ولا سيما في حال خروج فئة منهم على الحاكم واستعمال السلاح ضده.

ومن الجلي أيضا أن الآية الكريمة لا تحدد من هي الفئة الباغية ولاحجم هذه الفئة ، ولا سبب الاقتتال ولا ما هو وجه البغي ! فالحديث يبدأ من حيث حدوث اقتتال لأمر ما، وهو كما أسلفنا أمر واقعي لأسباب متنوعة كثيرة بالرغم من أنهم مؤمنون جميعا. ثم يتوجب العمل عندئذ على الصلح بين هذه الفئات المقتتلة. ولكن قد يحدث أحيانا أن لا تنجح محاولة الصلح لبعض التعنت وعدم الرضوخ إلى الحق. بل أخذ موقف الكبر والتبطر والاعتداء على طوائف من المسلمين. عندئذ ينبغي اتحاد المؤمنين معا ضد الفئة الباغية التي لم تحدد صفاتها وتفصيلاتها ، بل تركت للمؤمنين يعالجونها حسب ظروفهم وأحوالهم.

وغاية القول هنا إنه لا جهاد في هذه المواضع بنص القرآن لكي لا تزيد الأمور التباسا ، ويزيد الادعاء بحيازة الحق أو الاستئثار به ، وهو ما حصل فعلا على مدار التارخ الإسلامي على مدار العصور، حيث نسب بعض المؤمنين أفرادا أو جماعات لأنفسهم صفات المجهادين، مقابل مؤمنين مغايرين في الرأي اعتبروا أن ما يفعلونه جهاد في سبيل الله كذلك! . إن القرآن الكريم هنا يوجه إلى الاجتهاد في تحقيق وحدة المؤمنين وإعادة اللحمة إلى صفوفهم. ومرة أخرى فإنه لا حديث هنا عن جهاد أو ميزة أو فضيلة، بل اجتهاد في الإصلاح بين المؤمنين، واجتهاد في تحري القسط والعدل، وعدم الاعتداء.

ويكاد الأمر يكون كارثيا حين ندخل عالم النزاع بين الفئات الإسلامية والسلطات السياسية الحاكمة بالحق أو بغيره. إن تسمية الفئات المعارضة بالقوة مجاهدين، ونسبة الجهاد إلى هذه الفئات أمر في غاية الخطورة ،

وقد ينتج عنه إزهاق كبير في الأرواح. إن تسمية الأمور بأنها اقتتال بين المؤمنين هو أقل ضررا بكثير من تسمية هذه المعارضات أو الفئات المقتتلة بالمجاهدين .

حرمة دم المسلم

ليس أكثر مدعاة للألم من هذا التنكب الكبير عن القرآن الكريم لدى المؤمنين، بينما هم يصرون على أنهم يقتلون بعضهم تحت راية القرآن! إن كتاب الله تعالى واضح جدا بحرمة دم المسلم وصيانته

ملاحظات:

1- اعتمد البحث على القرآن الكريم(بشكل مطلق) إن المعلومات الأخرى هي مما هو معروف جدا، ولا تغير تفاصيلها شيئا من مضمون البحث.

2- كذلك ترتيب سور القرآن الكريم. إنه من المصادر العامة، والخلاف لا يغير شيئا كبيرا من الأفكار أو النتائج.

ترتيب سور القرآن الكريم حسب النزول اسم السورة ترتيبها في المصحف حسب النزول عدد آياتها مكية أو مدنية العلق 96 19 مكية القلم 68 52 مكية المزمل 73 20 مكية المدثر 74 56 مكية الفاتحة 1 7 مكية مدنية المسد 111 5 مكية التكوير 81 29 مكية الأعلى 87 91 مكية الليل 92 21 مختلف في كونها مدنية أو مكية الفجر 89 30 مكية الضحى 93 11 مكية الشرح 94 8 مكية العصر 103 3 مكية العاديات 100 11 مكية الكوثر 108 3 مكية التكاثر 102 8 مكية الماعون 107 7 مكية الكافرون 109 6 مكية الفيل 105 5 مكية الفلق 113 5 مكية الناس 114 6 مكية الإخلاص 112 4 مكية النجم 53 62 مكية عبس 80 42 مكية القدر 97 5 مكية الشمس 91 15 مكية البروج 85 22 مكية التين 95 8 مكية قريش 106 4 مكية القارعة 101 11 مكية القيامة 75 40 مكية الهمزة 104 9 مكية المرسلات 77 50 مكية ما عدا آية واحدة مدنية ق 50 45 مكية البلد 90 20 مكية الطارق 86 17 مكية القمر 54 55 مكية ص 38 88 مكية الأعراف 7 206 مكية الجن 28 72 مكية يس 36 83 مكية ما عدا الآية الخامسة والأربعين مدنية الفرقان 25 77 مكية فاطر 35 45 مكية مريم 19 98 مكية طه 20 135 مكية الواقعة 56 96 مكية الشعراء 26 227 مكية النمل 27 93 مكية القصص 28 88 مكية الإسراء 17 111 مكية يونس 10 109 مكية هود 11 128 مكية يوسف 12 111 مكية الحجر

15 99 مكية الأنعام 6 156 مكية الصافات 37 182 مكية لقمان 32 34 مكية سبأ 34 54 مكية الزمر 39 75 مكية غافر 40 85
مكية فصلت 41 54 مكية الشورى 42 53 مكية الزخرف 43 89 مكية الدخان 44 59 مكية الجاثية 45 37 مكية الأحقاف 46 35
مكية الذاريات 51 60 مكية الغاشية 88 62 مكية الكهف 18 110 مكية النحل 16 128 مكية نوح 71 28 مكية إبراهيم 14 52
مكية الأنبياء 21 112 مكية المؤمنون 23 118 مكية السجدة 32 30 مكية الطور 52 49 مكية الملك 67 30 مكية الحاقة 69 52
مكية المعارج 70 44 مكية النبأ 78 40 مكية النازعات 79 46 مكية الإنفطار 82 19 مكية الانشقاق 84 25 مكية الروم 30 60
مكية العنكبوت 29 69 مكية المطففين 83 36 مكية البقرة 2 286 مدنية الأنفال 8 75 مدنية آل عمران 3 200 مدنية الأحزاب 33
73 مدنية الممتحنة 60 13 مدنية النساء 4 176 مدنية الزلزلة 99 8 مدنية الحديد 57 29 مدنية محمد 47 38 مدنية الرعد 13 43
مدنية الرحمن 55 78 مدنية الإنسان 76 31 مدنية الطلاق 65 12 مدنية البينة 98 8 مدنية الحشر 59 24 مدنية النور 24 64 مدنية
الحج 22 78 مدنية المنافقون 63 11 مدنية المجادلة 58 22 مدنية الحجرات 49 18 مدنية التحريم 66 12 مدنية التغابن 64 18
مدنية الصف 61 14 مدنية الجمعة 62 11 مدنية الفتح 48 29 مدنية المائدة 5 120 مدنية التوبة 9 129 مدنية النصر 110 3 مدنية